أرجوزة في علم الكلام لمحمد بن عيسى التّبسي(ت.840هـ/1436م): عرض وتقديم

Poems in the science of Kalam for Mohammed Ben Issa Etebaessi: introduction and presentation(840H/1436 AD)

دة. عزرودي نصيرة* ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر)
naceralex@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/07/07 تاريخ القبول: 2020/08/28 تاريخ النشر: 2020/09/30

ملخص:

أثبت العديد من علمائنا حضورهم في أغلب مباحث العلوم النّقلية والعقلية، منهم من سطع نجمهم وبلغ الآفاق، ومنهم من بقي مغمورا مطموسا، وعالمنا التّبسي من أولئك المغمورين الذين سطّروا سيرة مشّرفة وحضورا قويّا واطّلاعا جليّا، وهو ما عثرنا عليه في منظومته الشّعرية التي ناقش فيها مبحثا هامّا من مباحث القدر، خاصة وأنّ هذا المبحث شكّل شكّا عند بعضهم، وهو هنا يستعرض أحد المشكّكين الأحبار من يهود المغاربة في عقيدتنا الإسلامية.

فيا ترى من يكون هذا العالم التّبسي؟، وكيف كان ردّه على اليهودي؟، وما وجه الاستدلال الذي انتصر به على سؤال اليهودي المغربي؟

كلمات مفتاحية: القضاء والقدر، التّبسي، أبو سعيد فرج بن لبّ، عزّ الدّين بن عبد السلام.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

A lot of our scientists proved their presence in the majority of the researches of the transfer and mental sciences. Some of them became very famous and others stayed unknown and nameless. Our scientist Etebessi is one of those who were unknown who had a honorable biography and a powerful presence and that what we found in his poetic system in which he discussed an important research that made doubts for some researchers

He stated some Jewish maghreb skepticals in our Islamic doctrine. So who was this scientist? And how was his reply to the Jewish? And what were his proves with which he succeeded on the question of the Maghreb Jewish?

keywords: Fate and destiny; Etebaessi ; Abu Said Faraj ibn lub ; Aziz bin Abd al- Salam

- **تمهيد**

حارب العديد من علمائنا عبر أزمنة ممتدّة دعاة الإلحاد والتّشكيك في عقيدتنا من قبل بعض المشكّكين من بني جلدتنا ومن غيرهم، ممّن يعمدون أحيانا إلى طرح أسئلة مُلغّمة، تتعلّق ببعض المباحث العقدية الدّقيقة، كمسألة القضاء والقدر، كونه مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلّبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير، وعليه جاء التّسليم بالقضاء والقدر سراً من الأسرار الإيمانية، وأغلب مباحثه تُعتقد ولا تُدْرَك.

وبين أيدينا أنموذجا واحداً نستعرض من خلاله العبث العقدي لأحد الأحبار من يهود المغاربة، والذي قدّم سؤالا يحتجّ به على القدر، وهذا السّؤال سبق وأورده أحد علماء الذمّيين قبله، وأجاب عليه شيخ الإسلام ابن تيمية(ت728هـ/1328م) بقصيدة شعرية1، ثمّ

1- بلغ عدد أبياتها مائة وخمسة وعشرين بيتا. انظر.ابن تيمية، **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، كتاب القدر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 2004، 8/ 245. 255.

توالت الإجابات من قبل علماء لاحقين من ذلك جواب الفقيه الأندلسي أبو سعيد فرج ابن لبّ الأندلسي(ت782هـ/1381م)2 على سؤال يهودي اسمه إبراهيم بن سهل.3

واستمرّ السّجال لاحقا4، وهو ما جسّده لنا العالم الجزائري محمد بن عيسى التّبسي المغربي المالكي النّحوي(ت 840هـ/1436م) في منظومته الشّعرية بعرضه سؤال أحد اليهود المغاربة، الذي تلقّاه عالمين جليلين بالرّد وهما أبو سعيد فرج ابن لبّ(ت782هـ/1381م) 5، والشّيخ عزّ الدين بن عبد السّلام(ت660هـ/1262م)، لكنّ جوابهما لم يكن مقنعا لهذا الذّمي في مسألة اعتراضه على القدر، فخاطبه العالم الجزائري برّده.

وفي أغلب الكتب التي نقلت لنا رواية هذا الذمّي، أوردوا لنا سؤاله فقط، وأعقبوه بردّ العلماء عليه6، أمّا منظومة التّبسي فقد انفردت بذكر ردّ اليهودي على العالمين السّابقين، فمن خلال اطلاّعي على النّصوص التي وقعت بين يدي حول القصيدة لم يرد فيها ردّ اليهودي

2- بلغ عدد أبياتها ستّة عشر بيتا. انظر.ابن لبّ الغرناطي، **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تحقيق مختاري وهشام الرّامي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب الجامع في نوازل مختلفة(مسألة في القضاء والقدر)، 1/ 186. 187.

3- ورد في المعيار المعرب ردّ ابن لبّ على سؤال اليهودي في أبيات عددها 36 بيت شعري. انظر.أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه محمد حجي وآخرون، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981، 11/265. 267.

4- بقي السّجال حتى العصر الحديث إذ نسج على منوالها الشاعر عبد الغني النابلسي(ت1143هـ/1730م) قصيدة له.

5- بلغ عدد أبيات قصيدة ابن لبّ في ردّه على الذّمي 10 أبيات في كتاب: **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، بينما في أرجوزة التّبسي بلغ عدد أبياتها تسعة أبيات، مع اختلاف في الأبيات رقم 06 و 07، وسقط البيت رقم 08، بينما يختلف ردّه كليّا في العدد والشّكل في كتاب: **المعيار المعرب**، إذ بلغ عدد أبيات ردوده 36 بيت شعري، وتختلف كلّية عماّ تم ذكره في تقريب الأمل وفي أرجوزة التّبسي.

6- لم أعثر على ردّ الشّيخ عبد السّلام على اليهودي في مؤلفاته العقدية.

على العالمين، فهو هنا في منظومة التّبسي نجده غير مقتنع بحججهما، لذا جاءه الجواب والردّ الشّافي من العالم التّبسي.

فمن يكون هذا العالم التّبسي؟، وكيف كان ردّه على الحبر اليّهودي المغربي في مسألة معارضته للقدر؟

أولا-ترجمة المؤلف:

ورد في آخر الأرجوزة كنية المؤلف التّبسي[7]، وهو الأمر الذي جعلنا نبحث ونتلمسّ أثرا له في كتب التراجم والطّبقات، ومن خلال البحث رجّحنا أن يكون المعني بالأمر هو محمد بن عيسى التّبسي المغربي.

محمد بن عيسى التّبسي، شمس الدّين، المغربي الأندلسي النّحوي، قاض، ونحوي، من كبار العلماء، أصله من تبسة بالجزائر، رحل إلى المشرق فدخل مصر والشّام وبلاد الروم، وأخذ عن علمائها[8]، ولي قضاء حماة بسوريا، وأقام بها مدّة، ثم توجّه إلى الروم فأقام بها، وأقبل الناس عليه، وكان شعلة نار في الذكاء، حسن الفهم، كثير الاستحضار، عارفا بعدّة علوم خصوصا العربية، وقد قرأ في علوم الحديث على شيخه ابن حجر،[9] وممّن قرأ عليه

7- تبسة، مدينة جزائرية قديمة أزلية تعود للعهد الروماني، بها الأسوار العالية، تنتمي إلى منطقة الأوراس، وتقع شرق الجزائر، وهي منطقة حدودية مع دولة تونس، تعرّضت للتخريب في العصر الوسيط بسبب تردّي الأوضاع الأمنية والاقتصادية والطبيعية والبشرية، للمزيد انظر.جمال عناق، **أحوال وأوضاع مدينة تبسة الإسلامية من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية . قراءة تاريخية أثرية .**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، العدد 11، ص429 . 441.

8- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 61.

9- ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، جمهورية مصر العربية، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1998، رقم الترجمة 30، 64/4 . شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت،

بالقاهرة البدر بن القطان، هذا الأخير وصفه بأنّه كان جامعا بين المعقول والمنقول، مات ببرصا من بلاد الروم في شعبان سنة 840هـ/1436م.[10]

- **ثانيا: مضمون المنظومة:**

تتضمّن أبيات المنظومة الشّعرية الانتصار لمذهب أهل السنّة في القضاء والقدر، ونفي الجبر عن أفعال النّاس، وأنّ كلّ ما يقع في هذا الكون لا يخرج عن مشيئة الله عز وجل وعلمه وقدرته، أمّا نصيب العبد من ذلك فهو الكسب فقط، فقصد العبد وانبعاثه نحو القيام ببعض الأعمال يرجع إلى اختياره، وعلى هذا الأساس، فإنّ للعباد أفعالا اختيارية، هي أساس التّكاليف الشّرعية، وهي ترجع إلى كسبهم بالدّرجة الأولى، ويترتّب عليها الثّواب والعقاب، وهو ما لم يستوعبه هذا الحبر اليهودي وألحّ في سؤاله وردّه، لذا واجهه التّبسي بردّه ونقده

- **ثالثا: الحالة الماديّة للمخطوط:**

.**عدد الأبيات:** 52.

.**المكتبة:** مكتبة الإسكندرية، وهي نسخة مصوّرة من مكتبة الاسكوريال بمدريد.

.**عدد الأوراق:** ورقتين.

الخطّ: مشرقي.

حالة المخطوط: جيّدة.

- **رابعا: متن الأرجوزة:**

134 و/ بسم الله الرحمن الرّحيم

سؤال في القدر لحبر يهودي من أهل المغرب مع الجواب عنه

والاعتراض على الجواب من السّائل ونصّ السؤال المشار إليه:

رقم الترجمة 753، 277/8.

10- السخاوي، المصدر نفسه، 277/8.

أيَـا علمـاءَ الـدّينِ: ذمـيُّ دِيـنِكُمْ تحيّـرَ دُلُّـوهُ بأوضـحِ حُجّـةٍ

إذا مَـا قضَـى ربّـي بكفـرِي بـزعمِكُمْ ولـمْ يرضَـهُ مِنّي فمَـا وجـهُ حيلَتِي؟

قضَى بضـلالِي ثـمَّ قـالَ ارضَ بالقضـاءِ فمَـا أنَـا راضٍ بالـذّي فيـهِ شِـقوتِي؟

دعـاني، وسـدّ البـابَ دونـي فهـل إلى دخـولي سـبيلِ بيّنـوا لـي قضّـيتي؟

إذا شـاء ربـي الكّفـرَ منّـي مشـيئةِ فهـلْ أنـا عـاصٍ باتّبـاعِ المشـيئة؟

وهـل لي رضَـا مـا لـيسَ يرضـاهُ سـيّدِي فبـاللهِ فاشـفُوا بـالبراهينِ علّتِـي

فأجابه ابن لبّ الأندلسي قائلا:

قضى الـرّب كفـر الكـافرين ولـم يكـن ليرضـاه تكليفًـا لـدى كـلّ ملّـة

نهـى خلقـه عمّـا أراد وقوعـه وإنفـاذه والملـك أبلـغ حجّـة

فنرضـى قضـاء الـربّ حكمًـا وإنّمـا كراهتنـا مصـروفة للخطيئـةِ

فـلا ترضى فعـلاً قـد نهي عنـه شـرعه وسـلّم لتـدبير ووفـق مشـيئتي

134ظ/

إليـك اختيـار الكسـب والـرّب خـالق يريـد بتـدبير لـه فـي الخليقـة

ومـــا لـــم يـــرده الله لـــيس بكـــائن تعـــــالى وجـــــلّ الله ربّ البريـــــة

فهـــذا جـــواب عـــن مســـائل ســـائل جهـــول يُنـــادي وهـــو أعمى البصـــيرة

أيـــا علمـــاء الـــدّين: ذمـــيّ ديـــنكم تحيّـــــر دلّـــــوه بأوضـــــح حجّـــــة

ثمّ أجابه الشّيخ عزّ الدّين ابن عبد السّلام قائلا:

صـدقت قضـى الـربّ الحكـيم فكلّمـا يكـون ومـا قـد كـان وفـق المشـيئة

وهـــــذا إذا حقّقتـــــه متـــــأمّلاً فلـيس يسـدّ البـاب مـن بعـد دعـوتي

لأنّ مـــــن المعلُـــــوم أنّ قضَـــــاؤه بـــأمرٍ علـــى تعليقـــه بشـــريطةِ

يجـــوز ولا يأبـــاه عقـــل ألا تـــرى حـــدوث أمـــور بعـــد أخـــرى تـــأدّتِ

كمـا الـرّيِ بعـد الشّـرب والشّـبع الـذي يكـون عقـب الأكـل فـي كـلّ مـرّة

فلـــيس يبعـــدان يكـــون معلّقًـــا قضـــاء إلـــه العـــرش ربّ الخليقـــة

بكفـرك مهمـا دُمـتَ بالسّـعي رافضًـا تعـاطى أسـباب الهـدَى مـع مكنـة

ومن جملة الأسباب ما قد رفضته مع الأمر والإمكان لفظ الشّهادة

فاعترض الجواب الأوّلُ بقولهِ:

سؤالي باق لم تجيبوا عليه إذ أردتُم جوابًا يا حيارى بلفظتي
135و/

ألا إنّ أعلى حجّةٍ قد أتيتم بها حجّة ليست لعمري بحجّتي

وذلك أنّ الله جلّ جلاله تصّرف في أملاكه بالمشيئة

ومن أصلكم أنتم قياس لغائبٍ على شاهدٍ من امتحان القضيّة

أسَلّم في هذا وإن كان جهلكم بباريكم تشبيهه بالخليقَة

ومن أسلم في هذا وإن كان جهلكم بباريكم تشبيهه بالخليقة

ونبني عليه في الجدال فما الذي تقولون إن تلقُوا لبيبًا بلجَّة

يصبّ بها مالاً تعنّى بكسبه فما لكمُ ترمونه بالجَريرةِ

ولم يتصرّف في سوى ملكه فهل تعدّون هذا من دلالة حكمةِ

ولـــو كنـــتم وفّقـــتم قلـــتمُ لنَـــا ... ألا إنّ هـــذِي محنـــة أيّ محنَـــةِ

تحـــارُ بهـــا هـــذي العقـــول فحســـبنَا ... وقـــوف وتســـليمُ لـــربّ الخليقـــةِ

والإمســـاك عـــن هـــذا أتَـــى عـــن نبـــيّكم ... فمـــا لكـــم لا تقتـــدُون بســـنّةِ

ومـــا قالـــه حـــقّ وقـــد كـــان أحمـــدُ ... علـــى ملّـــة أهـــدَى وأشـــرفِ ملّـــةِ

وهَبني عـــدوًّا قـــد شـــهدت لقـــول مـــن ... أعاديـــه إنصـــافًا بصـــدقٍ وحجّـــةِ

ومـــا الحســـن إلاّ مـــا بـــه شـــهد العـــدَا ... فخـــذه كلامًـــا صـــادقًا دون مزيـــةِ

ودَع مَـــا يقـــول القـــائلونَ فإنّهـــا ... أقاويـــل لا يُحظَـــى لهَـــا بحقيقـــةِ

فأجبتْ عنهُ قائلاً:

135ظ/

جوابُـــكَ كـــافٍ فـــي المـــراد وإنّمـــا ... تعاميـــتَ إعلامًـــا بخبـــث الطّويـــةِ

وذلـــــك إنّ الله جـــــلّ جلالـــــه ... حكـــيم علـــيم باتّفـــاق البريّـــة

ففعـــل حكـــيمٍ لـــيس إلاّ لحكمـــه ... وإن لـــم نحـــط علمًـــا بهـــا في البديـــةِ

وفعـــل لبيـــب ســـوء صـــنع نعـــدّه ... قبيحًـــا وجهـــلاً واضـــحًا دون مِريـــةِ

فلـيس محـلّ القـيس هـذا فـلا تـدم ... عنيـدًا فتعمى منـك عـين البصـيرة

ومصـداق حرفي قـد أتـي عـن نبـيّكم ... فمـــا لكُـــمْ لا تقتـــدونَ بســـنّةِ

لأنّ كلـــــيم الله قبـــــل ســـــؤالهِ ... رأي لجـواز الحكـم وجـه القضـيةِ

ولـم يعتـب البـاري عليـه فـدلّ ذا ... يقينًـا علـى تسـليم أصـل شـريعةِ

وقـــول حبيـــب الحـــقّ حـــقّ وإنّمـــا ... بـدا القـول منّـا عنـد إظهـار بدعـةِ

وحينئـــذ قـــد لاحـــظ النّهـــي أمّـــةِ ... وأوّلـــت الأخـــرى وكـــلّ بحقّـــهِ

فحســبك هــذا إن رشــدتَ لفهمــهِ ... ووافيـــتَ إيمانًـــا بخيـــر الخليقـــةِ

محمـــدٍ المبعُـــوث للخلـــقِ رحمـــةً ... عليـــه صـــلاةُ اللهِ فـي كـــلّ لحظـــةِ

وآلٍ وصـــحبٍ أجمعـــين وتـــابعٍ ... وتَـــابعهم مَصـــحوبةً بالتّحيّـــةِ

جوابـكَ مـن نجـل التبسّـيِ مرشـد ... وَمـن وَاهـب التّوفيـق قـولي وفعلتي

والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

الخاتمة:

.شغل مبحث القضاء والقدر علمائنا الأجلاّء واستمرّ السّجال فيه إلى عصر عالمنا التّبسي، فقدّم لنا منظومة شعرية شريفة ولطيفة، عالجت مبحثا من مباحث القضاء والقدر، فالمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذّب به يتخذّ علّة وأسبابا للكفر به، وسؤال هذا اليهودي المغربي خير مثال على ذلك.

.أكّدت هذه المنظومة أنّ ظلال اليهودي هو قضاء اختياري وليس جبري، لأنّ الله جعل العبد مختارا، فمن اختار الهداية زاده الله هدى، ومن اختار الغواية والضلال أضلّه الله وأعمى بصيرته.

ورقات المخطوطة:

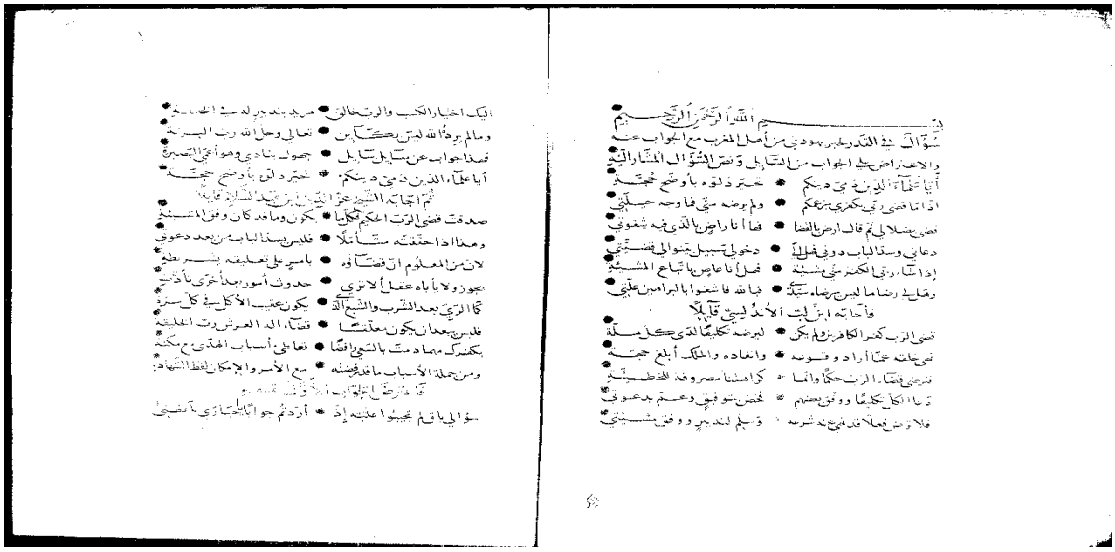

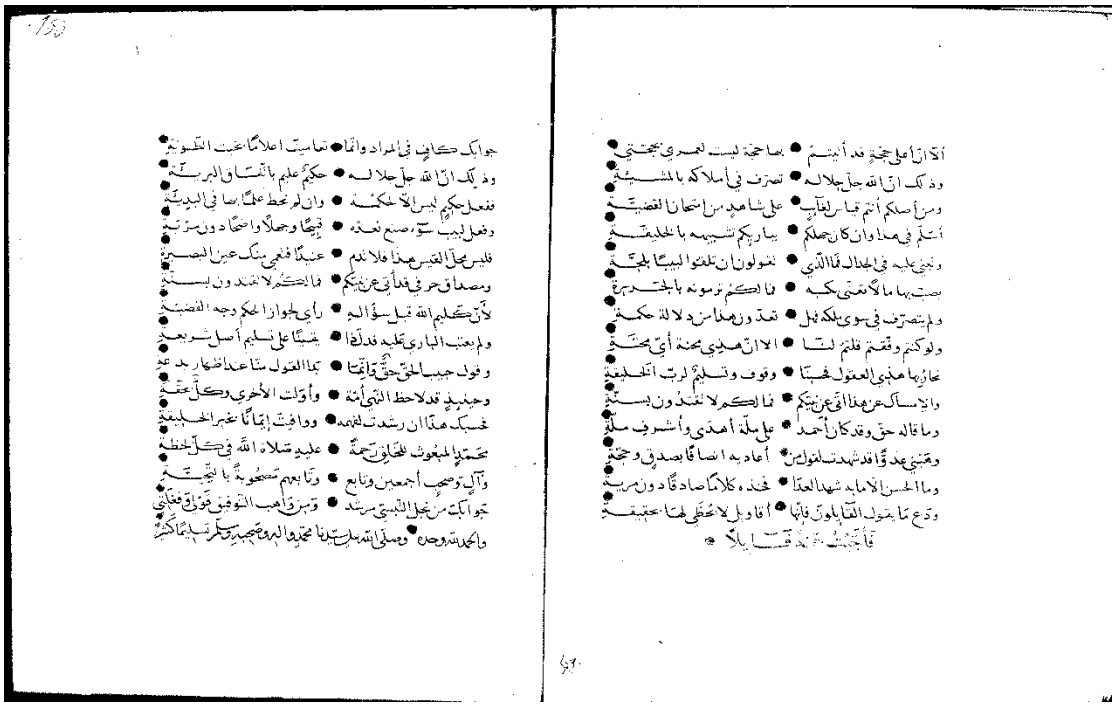

.ثبت المصادروالمراجع:

1.المخطوطات:

1- .التّبسي، أرجوزة في علم الكلام، نسخة مصّورة من مكتبة الإسكندرية، مصر.

2.الممصادر:

2- ابن تيمية، **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، كتاب القدر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 2004.

3- السّخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، دت.

4- العسقلاوي، ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، جمهورية مصر العربية، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1998.

5- ابن لبّ الغرناطي، **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تحقيق مختاري وهشام الرّامي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب الجامع في نوازل

مختلفة(مسألة في القضاء والقدر).

6- الونشريسي، أحمد بن يحي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه محمد حجي وآخرون، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981.

3. المراجع:

1- جمال عناق، **" أحوال وأوضاع مدينة تبسة الإسلامية من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية . قراءة تاريخية أثرية** . "، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، الجزائر، العدد 11.

2- . عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.